

(١)

وَاجِبُ الْمَعْلَمِ وَالْمَتَعَلِّمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْكَرِيمُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْعُرَّ الْمَيَامِينَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
وَبَعْدُ :

فَنَحْنُ عَلَى مَشَارِفِ عَامٍ دِرَاسِيٍّ جَدِيدٍ ، نَسْأَلُ اللَّهَ (عز وجل) أَنْ يَكُونَ عَامٌ جَدِّ ، وَاجْتِهَادٍ ، وَتَفَوُّقٍ لِأَبْنَائِنَا جَمِيعًا ، وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ أَعْطَى الْعِلْمَ أَوْلَوِيَّةً كُبْرَى ، وَعِنَايَةً خَاصَّةً ، فَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ، وَمِصْبَاحُ الْأَبْصَارِ ؛ إِذْ يَبْلُغُ الْعِلْمُ بِصَاحِبِهِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ ، وَالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ قَوْمًا ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً وَأَيْمَةً ، تُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} .

وظَهَرَتْ عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْعِلْمِ وَالتَّرغِيبِ فِيهِ مَعَ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ (سبحانه وتعالى) : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ، فَأَوَّلُ أَمْرٍ نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ هُوَ الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ أَبْوَابِ

(٢)

الْعِلْمِ ، ثُمَّ تَأْتِي الْإِشَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْقَلَمِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ تَدْوِينِ الْعِلْمِ وَنَقْلِهِ؛
وَفِي هَذَا تَنْبِيهُهُ لِلنَّاسِ كَافَّةً عَلَى بَيَانِ فَضْلِ الْعِلْمِ ، وَالتَّرغِيبِ فِي طَلَبِهِ ، وَالْحَثِّ
عَلَيْهِ .

فَلِلْعِلْمِ مَقَامٌ عَظِيمٌ ، وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ مَكَانَتُهُمُ الْعَالِيَةُ ، فَلَوْلَا الْعِلْمُ وَالْعُلَمَاءُ لَضَلَّ
النَّاسُ ، فَالْعِلْمُ نُورٌ يُبْصِرُ بِهِ صَاحِبُهُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ ، وَالْعُلَمَاءُ لِلنَّاسِ كَالنُّجُومِ فِي
السَّمَاءِ ، يُهْتَدَى بِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } ، فَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ النَّاسِ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى قِسْمَيْنِ : عَالِمٍ ، وَأَعْمَى ؛ فَجَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُقَابِلِ الْعَمَى ، فَالْبَصَرُ
هُنَا بَصَرُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَلَيْسَ بَصَرُ الرُّؤْيَا ، قَالَ تَعَالَى : { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ
وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } ، وَمِنْ ثَمَّ أَعْلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ شَأْنِ
الْعِلْمِ ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالسُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى : { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا } .

وَلَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَكَانَةَ الْعِلْمِ ، وَفَضِيلَةَ طَلَبِهِ ، فَقَالَ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا
مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَتَّعَبُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ
لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ
فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ
الْعُلَمَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَرَثُوا الْعِلْمَ ،
فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ ، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ : قَالَ لِي

(٣)

رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (يَا أَبَا ذَرٍّ: لَأَنْ تَعُدُّوْا فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلَأَنْ تَعُدُّوْا فَتَعَلَّمَ بِأَبَا مِنْ الْعِلْمِ - عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ - خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): (الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ؛ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ، وَالْمَالُ يُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو بِالْإِنْفَاقِ).

وَالْعِلْمُ أَخْلَاقٌ عَظِيمَةٌ، وَآدَابٌ كَرِيمَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا طَالِبُهُ وَمُعَلِّمُهُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، مِنْ أَهْمَمَا: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؛ فَيَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَبْتَغِيَا بِالْعِلْمِ وَجْهَ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَأَنْ يَحْذَرَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، فَإِنَّ لِلْعِلْمِ شَهْوَةً خَفِيَّةً، إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْ قَلْبِ الْعَبْدِ سَيَطَرَ عَلَيْهِ حُبُّ الظُّهُورِ، وَطَلَبُ الشُّهْرَةِ، وَالرَّغْبَةُ فِي التَّصَدُّرِ، وَقَدْ يُؤَثِّرُ ذَلِكَ فِي السُّلُوكِ، فَيَسْتَعْلِي عَلَى النَّاسِ، وَلَقَدْ حَذَّرَ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ).

وَمِنْهَا: التَّوَاضُّعُ، وَقَدْ كَتَبَ مَالِكٌ إِلَى الرَّشِيدِ: (إِذَا عَلِمْتَ عِلْمًا؛ فَلْيُرْ عَلَيْكَ عِلْمُهُ، وَسَكِينَتُهُ، وَسَمْتُهُ، وَوَقَارُهُ، وَحِلْمُهُ)، وَلِذَا قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ (رضي الله عنه): (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لَهُ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ)، إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ الْعِلْمُ مَعَ الْكِبَرِ، وَلَا يُؤْتَى مَعَ الْمَعْصِيَةِ؛ إِنَّمَا يُؤْتَى بِطَلَبِهِ، وَيَزْدَادُ بِالتَّقْوَى، حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ}، وَقَدْ قَالُوا: (وَمَنْ

(٤)

عَمِلَ بِمَا عَلِمَ ، عَلَّمَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، فَالْعَمَلُ شَرْطٌ لِتَحَقُّقِ الْعِلْمِ
الرَّبَّانِيِّ اللَّدُنِيِّ ، حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي سُورَةِ
الْكَهْفِ : {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا
عِلْمًا} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} ، وَيَقُولُ
سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا يَحْيَى (عليه السلام) : {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ
الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ
الْمَلَائِكَةِ : {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} .

وَمِنْهَا: التَّحَلِّي بِالْوَقَارِ ، حَيْثُ إِنَّ لِلْعِلْمِ رَوْقَهُ ، وَهَيْبَتَهُ ، وَجَلَالَهُ ، وَمِنْ
عَلَامَاتِ ذَلِكَ الْإِهْتِمَامُ بِالْمَظْهَرِ الْحَسَنِ ، وَالنِّظَافَةَ ، وَالتَّطَيُّبَ ، وَالِابْتِعَادُ عَنِ
مَجَالِسِ اللَّغْوِ ، يَقُولُ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ ، وَالسَّمْتَ
الصَّالِحَ ، وَالِاقْتِصَادَ ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ السُّبُوَّةِ) .

وَالْعَالِمُ لِلسَّائِلِ كَالطَّيِّبِ لِلْمَرِيضِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَحْنُو عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ إِلَى
سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَبَيِّنَ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا
أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ :
يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَأَنْكُلُ أُمَّهُ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ
إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصِمُّونِي سَكَتُ ،
فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ، فَبَايَ هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا
قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، وَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي ، وَلَا ضَرَبَنِي ، وَلَا شَتَمَنِي ، قَالَ :

(إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ ،
وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ ...) .

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ جُمْلَةً مِنَ الْأُمُورِ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا طَالِبُ الْعِلْمِ ، مِنْ أَهْمَمِهَا :
* الْحِرْصُ عَلَى التَّعَلُّمِ ، وَالْمُواظَبَةُ عَلَيْهِ دُونَ كَسَلٍ ، فَلَا يَضِيعُ وَقْتُهُ فِيمَا لَا يُفِيدُ ،
وَقَدْ قِيلَ : الْعِلْمُ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيَهُ كُلَّهُ ، وَعِنْدَمَا سُئِلَ الْإِمَامُ
الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) : كَيْفَ رَغَبْتُكَ لِلْعِلْمِ؟ قَالَ : أَسْمَعُ بِالْكَلِمَةِ مِمَّا لَمْ أَسْمَعْهُ ،
فَتَوَدُّ أَعْضَائِي أَنَّ لَهَا أَسْمَاعًا تَتَّعَمُّ بِهِ كَمَا تَتَّعَمَتِ الْأُذُنُ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ
حِرْصُكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ : حِرْصُ الْجَمُوعِ الْمَسُوعِ فِي بُلُوغِ لَدَّتِهِ لِلْمَالِ ، فَقِيلَ :
كَيْفَ طَلَبْتُكَ لَهُ؟ قَالَ : طَلَبْتُ الْمَرْأَةَ الْمُضِلَّةَ وَلَدَهَا لَيْسَ لَهَا غَيْرُهُ .

* تَوْقِيرُ الْمُعَلِّمِ وَاحْتِرَامُهُ ، فَلَا يَتَجَرَّأُ الطَّالِبُ عَلَى مُعَلِّمِهِ بِقَوْلٍ ، أَوْ فِعْلٍ ، قَالَ
الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) : كُنْتُ أَصْفَحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيَّ مَالِكٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) صَفْحًا
رَفِيقًا هَيِّبَةً لَهُ ؛ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقَعَهَا ، وَقَالَ الرَّبِيعُ (رَحِمَهُ اللَّهُ) : وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ
أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يُنْظَرُ إِلَيَّ ؛ هَيِّبَةً لَهُ ، وَاللَّهُ دَرُّ شَوْقِي حَيْثُ قَالَ :

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبْجِيلَا *** كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا

لَا شَكَّ أَنَّ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى تَحْصِيلِ جَمِيعِ الْعُلُومِ الَّتِي نَعْمُرُ بِهَا دُنْيَانَا
يَقْدَرُ حَاجَتَنَا إِلَى الْعُلُومِ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا أَمْرُ دِينِنَا ، فَلَيْسَ لَدَيْنَا رِفَاهِيَةُ الْوَقْتِ ،
حَيْثُ إِنَّ عَمَلِيَّةَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِكَارِ أَصْبَحَتْ وَاجِبَ الْعَصْرِ ،
لَعَلَّنَا نَلْحَقَ بِالرَّكْبِ ، أَوْ نُدْرِكَ بَعْضَ مَا فَاتَنَا مِنْ طَرِيقِ الْمَسِيرِ ، فَعَلَى كُلِّ مَنَّا أَنْ
يَتَحَلَّى بِرُوحِ الْإِبْدَاعِ ، وَالسَّبْقِ ، وَالطُّمُوحِ ، أَوْ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا

(٦)

الرَّغْبَةُ فِي الْعُودَةِ بِالْأُمَّةِ إِلَى زَمَنِ الْكِبَارِ مِنْ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا الَّذِينَ رَحَلُوا فِي
طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَاجْتَهَدُوا فِي تَحْصِيلِهِ حَتَّى تَبَوَّأُوا مَكَانَ الصَّدَارَةِ ، وَصَارُوا أَعْلَامًا
فِي كُلِّ الْمُنُونِ وَالْعُلُومِ الَّتِي تَصَدَّرُوا فِيهَا ، وَالَّتِي صَارَتْ نُبْعًا صَافِيًا ، وَنَبْرَاسًا
مُلهِمًا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَيَكُونُ شِعَارُنَا فِيهِ :

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا *** تَبْنِي ، وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا

فَلَا بُدَّ إِذَا لِلْعَالِمِ وَلِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَحَلَّى بِكِرِيمِ الْأَخْلَاقِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُمَا
مُتَّفِقًا مَعَ قَوْلِهِمَا حَتَّى يُؤَثَّرَ ذَلِكَ فِي الْمَجْتَمَعِ ، فَعِنْدَمَا رَبَطَتِ الْأُمَّةُ بَيْنَ الْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ وَالْأَخْلَاقِ ، عَاشَتْ فِي عِزَّةٍ وَرِفْعَةٍ بَيْنَ الْأُمَمِ ، وَحَيْثُ كَانَ الْخُلُقُ وَالْعِلْمُ
، كَانَ الرُّقْبِيُّ ، وَكَانَ الْإِزْدِهَارُ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

إِخْوَةُ الْإِسْلَامِ :

إِنَّ الْإِسْلَامَ أَعْلَى مِنْ شَأْنِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ عَلَى اخْتِلَافِ تَخَصُّصَاتِهِمْ ، فَالْعِلْمُ
الِنَافِعُ يَشْمَلُ كُلَّ الْعُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ فِي شُؤْنِ دِينِهِمْ أَوْ شُؤْنِ دُنْيَاهُمْ ،
وَلِذَا نَرَى أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ (عز وجل) : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} جَاءَ فِي
مَعْرِضِ الْحَدِيثِ عَنِ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

(٧)

كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ :
{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ} .

كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ كُلُّ مَا يَحْمِلُ نَفْعًا لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ وَمَعَادِهِمْ ،
فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، أَوِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَوْ عِلْمِ الطَّبِّ ، أَوِ الصَّيْدَلَةِ ، أَوِ الْفِيْزِيَاءِ ، أَوْ
الْكِيْمِيَاءِ ، أَوِ الْفَلَكِ ، أَوِ الْهَنْدَسَةِ ، أَوِ الطَّاقَةِ ، وَسَائِرِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ ، فَالْعِلْمُ
أَسَاسُ الشَّخْصِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ الْمُبْدِعَةِ الْمُبْتَكِرَةِ ، وَدَلَالَةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَاسْأَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ، فَكَلِمَةُ (الذِّكْرِ) أَعْمٌ مِنْ أَنْ تُقْصَرَ عَلَى عِلْمٍ
بِعَيْنِهِ ، فَالْأَمْرُ مُتَّسِعٌ لِكُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ ، وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ فِي حَاجَةٍ إِلَى جَمِيعِ
الْعُلُومِ الَّتِي نَعْمُرُ بِهَا دُنْيَانَا كَحَاجَتِنَا إِلَى الْعُلُومِ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا أَمْرُ دِينِنَا .
وَلَعَلَّ وَاجِبَ الْوَقْتِ وَفَرِيضَتَهُ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ هُوَ تَصْحِيحُ الْمَفَاهِيمِ
الْخَاطِئَةِ ، مَعَ تَصْحِيحِ الصُّورَةِ الذَّهْنِيَّةِ الْمَعْلُوطَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ،
وَالْعَمَلُ عَلَى نَشْرِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ .

**نَسْأَلُ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ نَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُدُولِ ، وَأَنْ يَعْلَمَنَا مَا
جَهَلْنَا ، وَأَنْ يَذْكُرَنَا مَا نَسِينَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا .**